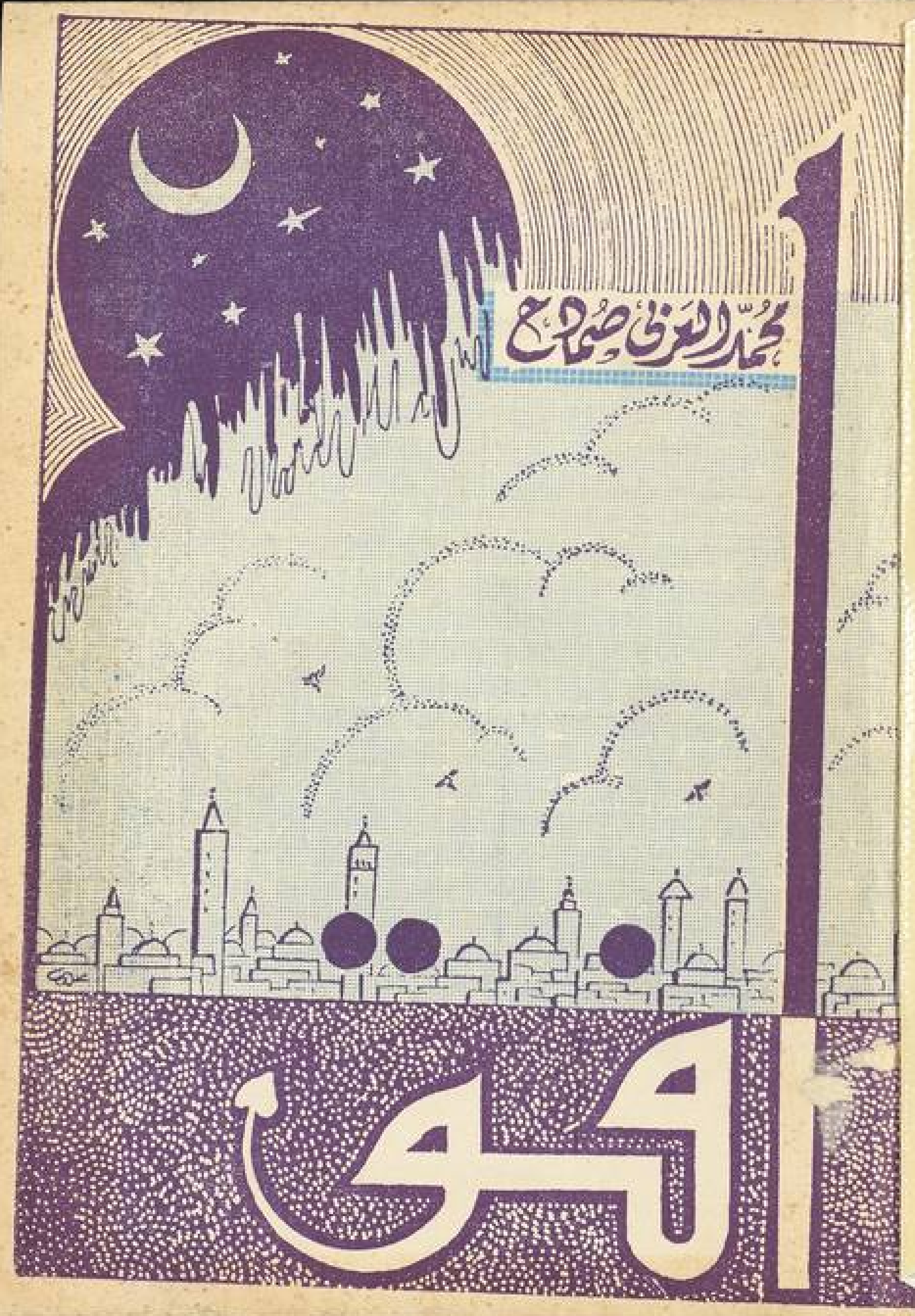

محمد العروسي المطوي


محمد العربي صمادح
Ṣumādiḥ, Muhammad al-ʿArabī
Ufuq
الأفق

هدية من المؤلف إلى الأستاذ
الكبير الدكتور أحمد زكي أبو شادي
تقديرا لمكانته الرفيعة في الأدب
العربي، واعترافا بجهوده الأدبية الموفقة.
تونس ١١/٧/٥٤
[illegible]

آفاق

« الافق هو مرآة الكون الصافية . . . »

« التي ترتسم عليها كل صورة من صور »

« الوجود . . . من ظلام ونور . . . وشفق »

« وغيوم . . . ويسكن ويثور . . . كضمير »

« الشاعر . . . ترتسم عليه كل صورة للوجود »

« وتتجاوب فيه شتى الاصداء وتنعكس عليه »

« كل معنى من معاني الحياة . . . »

الاهداء

الى من فتح قلبي وعيني للمجد الخالد ... فرايت النور في حياته وبعد موته ... وأيقظ في نفسي الطموح ... والشوق ... والعزة ... والوفاء ... وعلمني في صغري الصدق ... والايمان والرحمة ..

الى والدي :

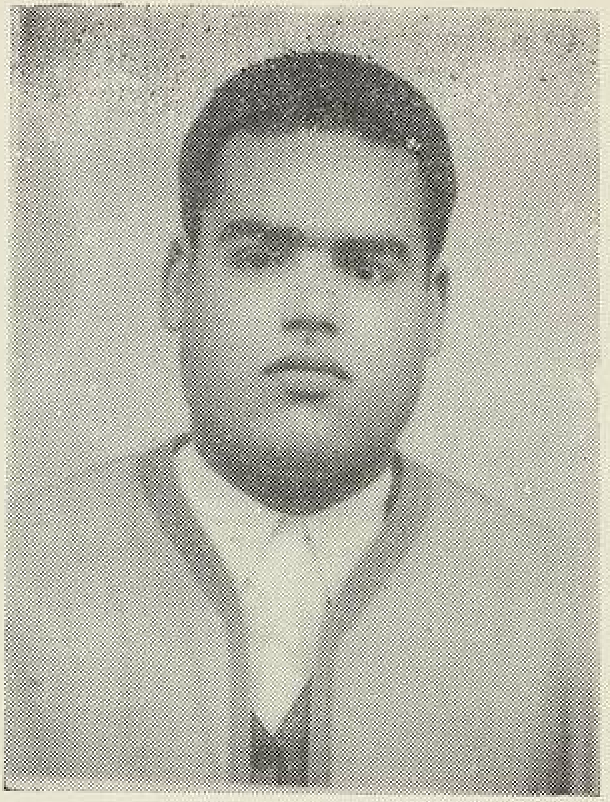
❀ ابراهيم صمادح ❀

أقدم هذه الصفحات

ترحما ...

ووفاء بحقه علي ...

محمد العربي صمادح



* محمد العربي صمادح *

ديوان « أفـق » ١٩٥٣

كلمة

لا يغرنا ما نشاهده من طغيان مادي وتشاؤم بمستقبل الشعر..

فان الشعر خالد رغم تشاؤمنا، وسواء اردنا ذلك او لم نرد، لان الشعر قطعة من وجودنا، وفم ناطق بموتنا.. او حياتنا، بتشاؤمنا وتفاؤلنا.. نموت ونحيا، نقوى ونضعف، والشعر هو الشعر لا يفقد جوهره ... مصور ومعبر في جميع الحالات... كالزمان يحتضن النور والظلام، ويحتوي الخير والشر، والزمان هو الزمان...

إننا اذ نؤمن باضمحلال الشعر، يجب ان نؤمن قبل ذلك باضمحلال «النفس» واضمحلال «عناصرها» وحينئذ لا وجدان ولا ميول ولا هوى... فلا شوق ولا توق ... ولا حب ولا إيمان ولا تقديس ولا تجديف، ولا تحسس للجمال والنور، والسعادة والشقاء، فلا قلوب تخفق ولا شفاه تبتسم او تكشر، إلا غرائز.. سائمة لا تتحسس إلا الشبع او النهم، ولا تؤمن إلا

بالوجود الذاتي او العدم .

وهذا لن يكون ولو اراد البعض ذلك . لان الله خلق الانسان من روح وصدف . فهل في استطاعتنا ان نحيا جمادات في عالم لا يعرف الدجى والنور . . .

لقد طالعت . . . وسمعت ان الشعر ضعف سلطانه . وان الشعر « ستدول دولته » ولكن أوكد لهؤلاء ان الشعر باق ما بقي « الروح » وما دامت في الوجود قلوب تنبض وارواح شاسعة كاللانهاية . بعيدة المدى كالآفاق . تشيد فيها عوالم وتنهار عوالم . وتشرق فيها اضواء . وتنسدل فيها ظلمات . وتتفتح فيها زهور . وتذبل فيها زهور . وتعصف فيها اعاصير . ويتضوع فيها عبير .

ولا أشك انهم سيؤمنون مثلي . لكن بعدما يعتقدون ان الشعر ليس هو تلك الاشكال أو هو هذه الوسائل . فهذه وتلك يطرأ عليها التحول واللغوب . . . اما ما يسري في تلك الاشكال والوسائل عاتيا كالنور . ساخرا كالايام . محييا كالروح في الجسد . منعشا كالتيار يسري في الاسلاك . فلن يفنى . لانه هو الشعر في حيويته وروعته . في اشراقه وانطلاقه . . .

يمكن ان يستحيل ويتطور (١) ويتخذ اشكالا ووسائل

---

(١) بمعناها العربي الاصيل

نألفها او لا نألفها، نرضى عنها او لا نرضى، ولكنه شعر على كل حال ...

إن الشعر رأيناه في الماضي، في المعلقات واللزوميات والرباعيات..

ونراه اليوم يتخذ المسرح، والخيالة والمدرسة والمرقص، ميادين فسيحة، ويفيض على حناجر المطربين، وتنطق به رسوم الرسامين ويتردد صداه على افواه الشباب، ويهيمن على المادة ويهذبها، يؤدي في كل ذلك رسالته ...

وسنراه في المستقبل وسيلة من وسائل التآلف البشري والعطف الانساني ...

فرسالة الشاعر يجب ان تتخطى السدود والحدود ويحلق بها وتحلق به أفق الانسانية الرحب ... ذلك الافق الذي ترن فيه جميع الاصداء فتشكل في مجموعها صوتا واحدا يسمعه ويفهمه الجميع.

تونس ٤ افريل ١٩٥٣ محمد العربي صمادح



البلبل والوردة

ها أنا أنشدك الحب وأشدو ببهاكِ
أسمعيني نبرة تلفظها لي شفتاك
هل سباك اللحن يا وردة ؟ أم ماذا دهاك ؟
هل تُرى سوف تجيبين دعا صب دعاك؟
ليتني أسمع نجواك ؟ فأشدو بغناك !

❁ ❁ ❁

أنا إذ غردتُ للآفاق قد ردت صدايا
وتغنيت لهذا النهر فغنى لغنايا
والربى تحلم في صمت الليالي برؤايا
أنا لحن الحب في الدنيا وهل فيها سوايا ؟
وأخو الشعر يحاكي نبراتي وهوايا

❁ ❁ ❁

أنت ما أبهاك يا وردة! ما أحلى رُواكِ !
ما أرق النور في ثغرك ! ما أحلى شذاك !

انت رمز الحسن في الدنيا، وهل فيها سواك؟
كل ما في الكون يهواك ويشدو ببهاك
وهو إذ يلقاك يمسي دائما يهوى لقاك

❁ ❁ ❁

فضياء الشمس إن يبد يقبل شفتيك
وهو يلقي حلية من ذهب صاف عليك
وشعاع البدر من خلف الدجى يسري إليك
والنسيم العذب إن يشد يلاطف وجنتيك
ثم يمضي حاملا عطرا نديا من يديك

❁ ❁ ❁

قد كساك الله - يا وردة - ثوبا ارجواني
من شعاع الشمس - في عبقر - حاكته الغواني
سكبت فيه جفون الفجر من عطر الجنان
والصبا تهمس في أذنك . . من شتى الاغاني
في بساط ساحر اللون موشى بالجمان

❁ ❁ ❁

لك يا وردة قد بحت بحبي وهيامي
راجيا نجواك لكن لم تفوهي بكلام

أي إثـم قد جناه اليوم حبي وغرامي ؟
يا ابنة الروضة ما بالك لم تشفي سقامي

❀ ❀ ❀

إن سر الحب يـا بلبل صمت وابتسامُ
زانه بين فؤادينـا حياء واحتشام
ودلال وامتنـاع بعده يـأتي الكلام
والهوى ينمـو بقلب الصب إن طال الهيام
والمنـى الصعب إذا مـا نلته نعم المرام

❀ ❀ ❀

انا اهواك ، واهوى فيك ذا الشكل الجميلْ
يتراءى عسجدي اللـون من صبغ الاصيل
وأغـانيك التي يشفى بهـا الصب العليل
رددتها الريح في تلك الروابي والحقول
وخطاك العذبة السكرى بذيـاك الهديل

❀ ❀ ❀

فتعـال أيها البلبل . . . قبـل شفتيا
قبلة تبعث في الـروح ضياء قدسيا
قبلة تطبع في قلبـي حبا أبديـا
واسكب الالحان في ثغري والثم وجنتيـا
أنت في الكون حبيب أخلص الحب اليا

الخطى الحائرة

دنيا تدور أمامنا
وعوالم تطوي السنين
وضجيج اصداء مجنحة تحث السابلين
ما بالنا؟؟!
نبقى دواما ها هنا . . .
ونخوض في بحر خضم من غباوة أمسنا
ها نحن نبحث عن طريق
والطريق أمامنا
فنعود دهرا للورا
ونتيه في سبل الفنا
مترددين فهل نسير مع الورى ؟ اولا نسير ؟
مترددين! كأمسنا .
والكون أعياه المسير
ونمد أيدينا لنلقى من يبين لنا السبيل
لكننا لا نفتح الابصار في وجه الدليل
فنظل نهتف خلفه في ظلمة الكهف الطويل
لقطيع أشباح من الوهم المخادع لا تزول

لكن يعود بنا . . .
الى حيث اعتزمنا للرحيل

❊ ❊ ❊

اسفي . توارى صوتنا
في ضجة الكون الكبير
ومضى الزمان
وما برحنا حائرين هنا ندور
فاذا وقفنا هاهنا
فلسوف ينسانا الشروق
والافق يحتضن الصدى
والغيم يبتلع الطرق
فنتيه في كهف الفنا
ويضمنا الماضي السحيق

مع القمر

بربك من انت يا سارية ؟
ومن أين جئت ؟ ومن تقصدين ؟
تسيرين في ليلة داجيه
فهل لحبيب جفا تذهبين ؟
وتبدين سافرة عاليه
وفي حلل من ضيا ترفلين

❁ ❁ ❁

ازحت عن الوجه ضافي النقاب
وقد كنت فيما مضى تختفين
ففاض من الوجه ماء الشباب
وأهدى الينا شعاعا أمين
فهل أنت لما أزحت الحجاب
تظنين أنك لا تظهرين ؟

❁ ❁ ❁

يفيق لوجهك هذا الوجود
وينزع عنه ثياب المنام

كانك فارقتـــــه بالعهود
لتاتيه تحت جناح الظـــلام
فيبدو لوجهك طلقا سعيدا
غريقا ببحـر الهوى والهيام

❁ ❁ ❁

وتلك الكواكب حولـك دارت
لوجهك شاخصة حـــــائره
وأخرسها السحر منك فصارت
تشير بألحاظهـــــا الفاتره
ولما استباهـا جمالـك سارت
الى حيث تمشين يا ساحـره

❁ ❁ ❁

ويلقي عليك السحـاب رداه
ليخفي سنـــــاك ولا يختفي
وان طلع الفجـر يزجي ضياه
نراه بإشعاعـــــه ينطفي
فيا عجبا ! هـل يـريـع سناه
بـهاك وبالحسن لا يحتفـي ؟

❁ ❁ ❁

كان ذكاء (١) اذا ما بدت

---

(١) الشمس

رقيب تخافينه أن يراك
تجيء ولكنهما اهتدت
إليك ولا سعدت بلقاك
فتذهب عنا وقد كمدت
ويزهر من بعد ذاك سناك

❀ ❀ ❀

يشع سناك بأعماق قلبي
ويذهب عني شجون الظلام
ويؤنسني كحبيب بقربي
يسامرني بحديث الغرام
وأنشده من أناشيد حبي
له ويطول بذاك المقام

❀ ❀ ❀

كأنك خود بفجر العمر
ولكن عرفت جميع العصور
فهات لنا من حديث السمر
وقصي لنا ما طوته الدهور
وأوحي لنا من سناك الاغر
نشيدا يفيض علينا بنور

❀ ❀ ❀

وهذا جمالك أضفى علينا

من الحسن ثوبا ينير السبيل
كان الاله هداك إلينا
لتمسي لنا في الظلام دليل
فنبغيك دوما تطلين عنا
لان ضياك حلو جميل

قبور تمشي

يا اخي إنني جزعت وروعـ
ـت وطافت حولي رؤى الاموات!
كيف أستطيع أن أرى جثث الامـ
ـوات تمشي بهذه الطرقات ؟
انا لا أستطيع أن أفتح العيـ
ـن وأمشي بهذه الظلمات
فالظلام المخيف يغمر ذا الكو
ن وإبليس يقتفي خطواتي !
وقرود الفساد والمسخ والاصـ
ـنام والغول والدمى النكرات

❀ ❀ ❀

أنا لا استطيع ان أفتح السمـ
ـع لاصداء كوني المزعجات
لنعيق الغربان للبوم للغيـ
ـلان للكفر للبكا للطغاة
لصدى الهدم والمعاول في بيـ
ـتي لصوت الجماجم النخرات

وأريـد الكـلام لكنني أخـ
ـشى بذا الليل أن تضيع حيـاتي
لـو تكلمت لاختنقت وأصفيـ
ـت دوامـا وأقبرت كلمـاتي
اتركوني أقول ما جاش في صد
ري وما أبتغـي من النـغمـات
لا أريد النشيد يمكث في صد
ري الى أن يحين وقت الـوفـاة
اتركوني أغن لحني وان شئـ
تم فـلا تنصتوا الى أغنيـاتي
لكن اللحن سـوف ينفذ لـلاذا
ن قهـرا ويوقـظ المـيتات
وهو يجلى القرود والبوم والاشـ
ـباح والغول من دنى الظلمات

❁ ❁ ❁

واريد الانفاس لكنني اشـ
ـعر فوق الفؤاد ذي الكائنات
ضاق صدري تعطل النفس الحي
بحلقـي . تحطمت نبـراتي

سحر وشعر

أغني مع الفجر حين يغني ..
بصوت البلابل في الافق
ويرتعد الليل وهو يجر
خطاه ، امام ضيا الفلق
فيترك أشلاءه في زوايا
الكهوف ، وفي منحنى الطرق
ولما تحس بزحف الصباح
تطير لتخفى وراء الغمام

❋ ❋ ❋

فيلحقها الصبح وهي تفر
ويدركها في ثنايا السحاب
فتبدو ذكاء كخود طروب
تزيح عن الوجه ضافي النقاب
فيبهرنا حسنها العبقري
ونعشق فيها جمال الكعاب
وتسكب في قلب ذا الكون حبا
فيشدو لها بنشيد الهيام

ترانا نئن .. ونشكوا الحياة ..
ونحن لفقدانها نألم
ونبكي .. لنضحك .. والارض دوما
بنار المكاره .. تحتدم
فيحزنها الكون لما تراه
يضج وبالبؤس يضطرم ..
وتذهب عنه بوجه حزين
لتخفى وراء محيط الظلام

❁ ❁ ❁

وأنشد لحن الوجود الحزين ..
اذا ذابت الشمس في الشفق
وينتحب النور .. وهو صريع
أمام زبانية الغسق ...
فيلتحف الكون ثوب حداد
حزينا على غادة المشرق
وتبدو عذارى السماء الحسان ..
يعزين قلبا كواه الغرام

❁ ❁ ❁

يغازلنه بجفون العذارى
فيبدو لبهجتهن سمير

وعشق من بينهن فتـــــاة ..
تفيض عليه من الحسن نـــور
فيغضن لمـــــا استباه بهاها
ولفته في ثوبهـــــا المستنير
ويمسين من حزن .. شاحبـــات
وقد ساء نضرتهن .. المقـــام

❋ ❋ ❋

أغني .. مع الفجر .. حين يغني
بصوت البلابل .. لحن الحيـــاة
وفي هجعة الليل .. لمـــا يواري
سكونَ الدجى ضجةَ الكائنات
فيبدو الوجود وقـــــد قذفته
ريـــاح المسا .. في خضم السبات
كشيخ يماشيه حلم الشباب
وقد حضنته طيوف المنـــام

❋ ❋ ❋

فكم تحت جنح الدجى .. من نجوم
تمـــر على بصر الناظـــر
وكم في سكون الدجى من أغان
تصـــدع سمع الفتى .. الشاعر

واشرطة لرسوم الحيـــاة ...
تمر ... على شاشة الخـــاطر
وكم من معان .. تضج بقلبي
وتبدو كجيش الدجى في ازدحام

❊ ❊ ❊

وأفتح قلبي .. لهـــذا الوجود
ومـــا فيه غير غناء .. وشعر:
ضجيج العباد وراء الدهور ...
وركب الزمان الى الماضي يسري
وصوت الحياة .. وصمت المنون ..
ومـــا كان بين البرية يجري
ولحن الشروق ونوح الغـــروب
وعرس الكواكب فوق الانام ..

❊ ❊ ❊

وما كان في الكون من نبرات
تفيض .. بـــألحانها الساحره
ومن عبرات .. يئن أساهـــا ..
بأهوال أيامنا السـاخــــره ..
ومن صور .. تستبينا رؤاها ..
فنشدو لطلعتهـــا الباهـــره
اغان ... ترتلها الكائنات ..
وينشدهـــا الشاعر المستهام ...



إلتفاتة

القت الشمس على الكون ضياء ارجوا ني
فاستحالت ذهبا أحمر هاتيك المباني
واستفاق العالم النشوان عن شتى الاغاني
وعلا الزهر ابتسام كابتسامات الغواني
فخطرت
مثلما تخطر في نفسي خيالات حسان
والتفت
فبدا في وجهك الساحر عطف وحنان
ومضيت
مثلما تمضي مع النسمة أنفاس الزهور
أو منى حلو تراءى وتوارى في ضميري
فملات النفس آمالا وأيقظت شعوري
وغمرت القلب ألحانا ونورا أي نور
واختفيت
من حوالي ولكنك لم تخفي ببالي
وبقيت

حلمي الزاخر بالحب على مر الليالي

ونظرت

إذ تلاقينا مساء والدجى يلقي رداه

والنهار الضاحك المائج غارت مقلتاه

فالتقى لحظك بالعين ولم أدرك مداه

فيه ما فيه من الحيرة والسحر واسرار الحياه

خبريني ...

أترى في هذه اللفتة حرب أم سلام ؟

وانقذيني ...

إنني أسبح في شك ووهم وهيام

توارت

توارت ... عني كما يتـــوا
رى الضياء فتعقبه الظلمـــات
ويلتحف الكون ثوب حداد
فتسكن فيه اغـــاني الحياة

❊ ❊ ❊

توارت عني .. كما تتـــوا
رى النجوم على هذه الكائنات
فيفقدهـــا المدلج المستهـــام
ويحتار في ظلمـــات الفـــلاة
توارت .. كاللحن .. كالصبوات
كحلم الصبابة .. كالذكريات ..

❊ ❊ ❊

لقد كنت في عالمي كوكبا ..
يضيء فيغمـــر آفـــاق نفسي
وصبحـــا وليدا .. يفيض سناه
بأغلى الامـــاني .. فيوقظ حسي

ولحنا شجيا .. بـــــاعماق قلبي
يزيح اكتئابي ويذهب بؤسي
وحلما لذيذا ... يعـــانقني
جميل الرؤى مثل أيـــام أنسي
فـــأنت نشيد أردده ...
دوامـــا الى أن أوارى برمسي

❀ ❀ ❀

فـــأصبحتُ في عالمي المدلهم
أسير ببطء .. ثقيـــل الخطى
أسير ولا أدري أيـــن المسير ؟
فقد غاب نجمي .. فأين اختفى ؟
وأسأل عنه نجـــوم الليـــالي
فلم تستجب لي نجـــوم السما
وأصبحت النفس دنيا خـــراب
يسود السكون بهـــا والدجى
وقد خمدت في الفـــؤاد الحياة
وغـــاض به لحنهـــا وفنى

❀ ❀ ❀

فأين تواريت يا كوكبي ؟
وفي أي أفـــق .. يضيء سناك ؟

فإني ظمئت لنور بهـــاك ..
فياليتني أرتوي .. من بهـــاك
وساءلت عنك عذارى السمــــاء
فلم تستجب لي .. فأين تراك ؟
فقد كنت دوما تطـــل علي
فيغمر أرجـــاء نفسي ضيـــاك
وتمــــلا قلبي حياة وحبـــا
ولحنا شجيا .. فمـــاذا دهاك؟

أحلام يتيم

رأيتك في النوم يا والدي
تمد يديك الى عضدي
فتحضنني باشتياق وعطف
كما كنت في سالف الامد
فخلتك حيا أتيت إلينا
وكنت بعيدا عن البلد

❀ ❀ ❀

فقلت - وقد عم قلبي سرور
واشرق وجهي بفائض نور
ووجهك ليس به من حبور - :

❀ ❀ ❀

« هنيئا قدومك يا والدي
وعشت سليما عزيزا مهاب
وما بال وجهك فيه شحوب
فهل كان ذاك لطول الغياب
فوجهك فيه الهناء لنا

ونبغيك دومـــا لنا في اقتراب

❁ ❁ ❁

ويبـــدو عليك الاسى والالـــم
فمـــاذا عراك أبي مـــن سقم ؟
فهـــل بحياتك خطب الم ؟ »

❁ ❁ ❁

ففاضت دموعك يـــا والدي
وأظلـــم وجهـــك من كمد
وقلت بصـــوت يذيب الفؤاد -
« تركتك للدهر يـــا كبدي
تركتك طفـــلا تقاسي الشداد
فهل لـــك في الدهر من سند ؟ »

❁ ❁ ❁

وقـــد خنقت صوتك الزفرات
فأيقنت أنـــك خانف الحيـــاة
وعينـــاي رقرقت العبـــرات

❁ ❁ ❁

ونـــاديت في النوم : آ والدى
فغبت ابي خلـف طيف المنـــام !
وطار مـــن العين طيف الكرى

فلم الق غيـــر كهوف الظلام !
ودارت بي الارض لمــا استفقت
ومــرت عهودك عاما فعــام

❀ ❀ ❀

وقضيت بــاقي الدجى في نــواحا
ولما تولى الظـــــلام وراح
اتيت لقبرك عند الصبـــاح

❀ ❀ ❀

أبي! كيف حالك ؟ تحت التراب
فهــل مستريح ؟ بذي المقبــره
تهب عليك مــن الافق ريــح
فتــأتيك عــابسة مسعــره
وتبني عليك كثيب الرمــال
بصحراء قـــاحلة مقفرة

❀ ❀ ❀

تركتني يــا والدي في الحيــاة
أجــوب بهــا سبل الظلمــات
أريــد النجاة ! وهل من نجاة ؟

❀ ❀ ❀

بيداء قـــاحلة مقفــرة

يطاردني فيها غـول الظـــــــلام!
أتيـه وحيـــــــدا فليس معي
أنيس يخفف عني السقـــــــام
أسير ولا أدري أيـــــن المسيـر ؟
وهل أنا في يقظـة أو منـــــام ؟
مللت المسير فقلت لنفسي :
« الى أين أمشي فذا الليل مغس ؟
وغول الظلام يفـــوه بنحسي »

❁ ❁ ❁

فقالت : « ضع الحمل لما مللت
الى ان يطل الصبــــــاح المريح »
فقلت : « سيغمض عيني الكرى
وأبقى لغول الظـــــــلام طريح »
فقالت : « إذا خفت غول الظلام
فخط ضريحا ونم في الضريح »

❁ ❁ ❁

أتنظرني والدي واقفـــــــا . . .
على ذا الضريح الذي قد عفـــــا
وأندب حظي الذي قد جفـــــا
أتذكرني والدي مثلمـــــا

ذكرتك في الليلة الداجيه ؟
فباتت تســــــايرني لوعتي
وراء كهوف الدجى الحاريه
أو ان الخلود وما في الخلـــــود
نسيت به هذه الخاليـــــة ؟

❀ ❀ ❀

سلام عليــــك الى الملتقى
الى الملتقى والدي في البقــــا
سلام عليــــك الى الملتقى

بآفاقه تشدو الطيور وتنشد
ويأتي على أرجائه اليوم والغد
ويبدو وديعا ساكنا لا يشوبه
قتام ولا يشكو ولا يتنهد
ويضحك للصبح الضحوك اذا بدا
ولما يطل الليل يغفو فيرقد

❁ ❁ ❁

ولكن إذا هبت به زعزع غدا
عليه رداء أقتم اللون أسود
وهاجت وماجت ريحه فكأنه
فؤاد أبي ناره تتوقد
وتغمر هذا الكون ريح شديدة
تهب بأنفاس اللهيب وترعد
فمن ذا الذي يثنى الحياة إذا بدت
تسير كما شاءت وقد حان موعد؟

❁ ❁ ❁

يجيش بآمال التمرد صدره
ونار اللظى في قلبه ليس تخمد
ويضمر في أعماقه البؤس والاسى
وينتظر اليوم الذي ليس يبعد

الشروق الضائع

أنجم الليل على الافق تهاوت للمغيب
خافقات في الدجى . . مثل فؤادي المستريب
ذبلت فيه كما تذبل أحلام القلوب
وعراها من ضنى السهد شحوب كشحوبي
فتهاوى قصر أحلاميَ للصبح القريب
وتلاشى حلميَ الباسم في شك مريب
كتلاشي ظلمات الليل ما بين الدروب
وتوارت روعة الذكرى كأحلام المشيب
وفتور لاح في نفسي كأشباح الغروب

❁ ❁ ❁

يا لها من ليلة . . لم تبق لي غير النحيب
تركت نفسي كالصحـراء . كالحقل الجديب
ليس فيها مِنْ مُنى يبسم أو لحن طروب
تركتها أفقا يحلم في صمت غريب
بشروق ضاع خلف الافق في ليل رهيب

٣٠ جانفي ١٩٥٣ قابس

البركان

بأحشائه نار الاسى تتضرمُ
وقد طالما في جوفه النار تجحمُ
ويُسكت في أعماقه زفراتها
وإن كان من انفاسها يتألمُ
ويبدو وديعا هادئا مترنما
ويبسم للكون الذي ظل يبسم
فيحسب ان النار في الجأش قد خبت
ولكن إذا حان القضاءُ ستعلم

❁ ❁ ❁

سيزأر كالجبار عند احتدامه
ويُرعد في آفاقه ويُدمدم
فتندلع النار التي بلهيبها
تظل رياح البؤس في الافق تُرزم
ويغدو كقلب الليل أقتم موحشا
يغشيه ثوب للكريهة أدلم
وتربدّ من هول الاسى عرصاته
الاليت يوما بالهدى يتكلم

كتمان

اتيت وفي وجنتيك ذبول
وعيناك غارقة في ذهول
وأين ابتسام الشفاه الجميل
توارى ! وما خلته سيزول

* * *
* *

وتخفين ما اقترفته يداكِ
ولكن يَبوح به ناظراك

* * *
* *

فهمت . . فمالك لم تَصْدُقيني ؟
وأقسمتِ لي قبلُ أن لا تخوني
فيا ليتني لم أُصَدّق ظنوني ! !
وأصغيت للناس إذْ عذلوني ! !

* * *
* *

أتيت . . ولكن عهد الهوى . .

تواري بأحلامه وانتهى ..

* * *
* *

كفى .. لم احبك أو تعرفيني
سأنساك دوما فلا تذكريني
ولا تذكري ما مضى من حنيني
واذ ما تلاقينا لا تنظريني

* * *
* *

ومهما تراءيت في خاطري
سأسخر من حظك العاثر ...

ريح الفناء

ايها الريح التي تـرزم في الافق البعيد
وصداها يملا الكـون كـجبار عنيد
يتراءى بدجاها الويل والهول الشديد
هزّت العالم فاستيقظ أبناء الوجود
بديـا حيك تراءى شبح المـوت المبيد

❁ ❁ ❁

إن من انفـاسك الحمراء قـد هبّ الفنـا
والاسى والبؤس . مـا أهول أيـام الاسى
أسكتي ! لا تطفئي النـور فما أحلى الضيا !
والعذاري تسكب الانوار من أعلى السمـا
والشبـاب المـرح النشوان في دنيا الهنـا

❁ ❁ ❁

أسكتي ! أيتهـا الريح ولا تبكي الجموعـا
أسكتي ! لا تملئي الافراح بؤسـا ودموعا
أسكتي ! لا تملئي الدنيـا قبورا ونجيعـا

وصراخاً ودجى يعلو النواحي والربوعا
وعويلاً يملأ الافق وآلاماً وجوعا

❋❋❋

أسكني ، أيتها الريح فإنا أبرياءْ
ما لنا ذنب ولا إثم فإنا ضعفاء
ما جنينا ؟ هل بنو الدنيا جميعاً أشقياءْ
يأكلون الناس كالوحش وترويهم دماءْ
ما جنينا يا ترى ؟ هل هكذا شاء القضاء ؟

شباب الزمان

هو ذاك الربيع أقبل في ثـو
ب قشيب يختال بين الروابي
ناشراً ثوبه البديع على الغا
بات والبيد والربى والهضاب
يتهادى مع النسيم إذا هبّ
شذيا والجدول المنساب
والضياء الجميل تسكبه الشمـ
س على الكون، كاللجين المذاب
أيقظ الكون من سبات عميق
ثم ألقى عليه برد الشباب
فالشذا في الوجود يعبق والطيـ
ـر يغنّي على الغصون الرطاب
والزهور التي تغازلها الأنـ
ـوار تصغي إلى اللحون العذاب



السجين

أيها البلبل الذي كان بالأمـ
ـس طليقا بين الربى والوهاد
والمروج الخضراء والقمم الشما
ء يشدو مع الطيور الشوادي
ينشد الحب والسعادة للدنـ
ـيا بعيدا عن الزمان المعادي
فهو في الكون شاعر عبقري
يتغنى بنشوة الاسعـاد

عندما يزحف المساء على الكو
ن ويلقي عليه ثوب السواد
فهو آوٍ لوكره في أمان
من بلاء العدا وريب العوادي
وإذا أقبل الصباح على الكو
ن وغنى لنوره كل شاد

فهو في قبة السماء شعاع
ساخر من شوامخ الاطواد
قد غدا اليوم والاسى ملء جنبيه
سجينا بوحشة وانفراد ...
بعد ما كان شاعر الحب امسى الـ
يوم يتلو لحن الاسى والحداد
بعد ما كان كالضياء بهذا الكو
ن طليقا غدا بأيدي الاعادي

كم تضجرت واستغثت وناديـ
ـت فكانت قلوبهم من جماد
شرب الناس من دماء أراقو
ها ، فهيهات للورى من رشاد
لبسو الظلم والخيانة والشر
وعاشوا بعض لبعض أعاد
ويحنا صاحبي من الناس إن النا
س يسعون للشقا والفساد

قد اذلوك ! ما جنيت ؟ وهل كان
لهم في اعتدائهم من مفاد ؟

سكون الظلام

في دياجيك أيها البؤس كم تخفى
أغان ويشتكى من وجيع
ويمض الاسى قلوب بني الارض
فتجري جداول من دموع

❁ ❁ ❁

كم توارت بليلك الموحش الداجي
أماني الورى وغاب سناها !
وتلاشت بافقك الاخرس الخاوي
لحون الورى وغاض صداها !

❁ ❁ ❁

وأضلت قوافل الدّهر في ليلك
درب الهدى فتاهت وهامت
وتناست لحن الخلود فغشاها
سكون من الظلام فنامت

❁ ❁ ❁

وطواها الحرمان في حدث النسيان
من بعد ما وهت واستكانت
ثم هبت عليها ريح الفنا الدّاجي

فأمست كأنها ما كانت

❁ ❁ ❁

فكأن لم تحارب الهول في الليل

ولم تركب المنى لعلاها

وكأن لم تغنّ للامل الشادي

ولم يصدع السكون غناها

يقظة الوجود

إن تقلب صحائف الدهر تعلم
أن ذا الكون قبل أحمد أظلم
لفّه الظلم والضلال دهوراً
بحجاب من التعاسة أقتم
حرم الناس ما أحله الله فيهم
وأحلوا الذي عليهم محرم
وأباحوا قتل النفوس بلا حق
ومال الضعيف ظلما يقسم
والعظيم الذي يسير ويختا
ل على جثة الضعيف المحطّم
وعلى الارض سادت الفوضى دهرا
فهي من شر نارها تتألم
ومضى الناس في الضلال وفي الظلـ
ـم فأمسى الوجود بالشر مفعم
هكذا الارض قبل أحمد يغشاها
ظلام ، وحولها الكون أدلم

وإذا بالحجاز يغمره النور
وداع الى الهدى يتكلم :
هو ذاك الرسول يدعو الى الله
ويدعو الى الهدى ونَعَلم

❁ ❁ ❁

بشر الله بالرسول قديما
وبه - الناس والنّبيين - أعلم

❁ ❁ ❁

قاوموه بالفعل والقول لكن
قوة الله في رسوله أعظم
وأشاحوا عن الرسول ولكن
هل يضير الرسول من ليس مسلم ؟
قيض الله للرسول رجالاً
جردوا للضلال سيفا مقوم
وأشادوا محاسن الدّين حتى
علم الناس أنه خير مغنم
فانبروا يدخلون في الدين أفوا
جا فصار الاسلام جيشا عرمرم
ثم صاروا يبنون أركانه العظـ
ـمى وتلك الاصنام أمست تحطم

ولـواء الاسـلام أصبـح خفـا
قـا وبيت الخليـل أمسـى يؤمـم

❁ ❁ ❁

هكـذا صـارت البسيطة عرسـا
بعد مـا كـانت البسيطة مأتم
هكذا استيقظ الـوجود وأمست
أمـم الارض بالـتمدن تنـعـم
برجـال حمـوا العقيـدة والاو
طان من كل من أضل وأجـرم
واشتـروا بالحياة مجدا وسلطا
نـا ولا يبتغـون من ذاك مغنـم
فأتـاهـم فتـح قـريب من الله
وللمخلصيـن نصـر محتـم
فليكن ذلـك الزمـان لنـا نـو
راً وبالنـور في الـدجى نتقـدم



أريد المسير
ولكن ... لمن ؟
فحر الهجير ...
بكف الزمن ...
كلفح السعير ...

❁ ❁ ❁

وأقبل يحمل في راحتيه
أزاهير ضاحكة في يديه
يغازلها السحر من مقلتيه
فسار ...
وسرت ...
ولكن لمن ؟..
فهل سيبوح بذاك الزمن ؟

ضجيج الزمن

ضَجّةٌ في الـزمـان تخفي أغـانيَّ
وتخفي لحـون كل الشوادي
وصراع في الكـون يوقض نـار الـ
ـحقد والشّرّ في قلـوب العبـاد
وأنـاس يسـوقهم جشـم النفـ
ـس الى عـالم الفنـا والنفـاد

❋ ❋ ❋

امة في الزمـان تملى على الكون
مـناهـا وأمـة في وِهَاد
صفحة للزمـان سـوداء شوهـاء
ستبقى على مـدى الآمـاد . . .

وطني

تقدّم ايها الوطن المفدّى
الى العلياء دوما مستعدّا
اراك اليوم تطمح للمعالي
لتبلغ في الورى مرمى وقصدا
ونجمك في علوّ وازدهار
يفيض سناؤه أملا وسعدا
وصوتك قد غدا في الارض يدوي
يجوب ربوعها سهلا ونجدا
وحسبك موطني شعب أبيّ
يسير الى العلا والمجد شدّا
يشيّد للمعارف شامخات
تهيّىء من شباب العلم جندا
ويكرع من مناهلها فيروى
وقد أمست له مأوى وورداً
وحقلا يزرع الامال فيه
فيجني من ثمار الجد مجدا

تضوع في البلاد لها أريج
شممنا منه أزهاراً ووردا

ولاح ضياؤها في كل أفق
لينزاح الدّجى وتعيد عهدا

❁ ❁ ❁

فأنتم أيها الشبان فيكم
سنا الآمال للخضرآ تبدى

فخوضوا أبحر العرفان حتى
نرد المجد بالعرفان ردّا

وإن الشعب بالمرصاد منكم
يعد لكم خطى الاعمال عدّا

❁ ❁ ❁

تقدّم أيها النشء المفدّى
الى العلياء دوما مستعدّا

---

١) نشرت في الجريدة التونسية اليومية لسان العرب ١٩٤٨

ألحاني تتوارى

كلما رمت أن أرتل ألحا
ني تغنت بين الضلوع الاماني
فاغني كما تغني أماني
بلحن من أقدس الالحان
من صميم الفؤاد فاض بأحلا
مي ، وأتلو على الزمان الاغاني
فيغيض النشيد في ضجة الكو
ن ، وتذروه عاصفات الزمان

❁ ❁ ❁

هكذا لحني المقدس دوما
في مهب من العواصف فان

إعصار

بدت زعزع نكباء بالويل تنذرُ
فأمسى عليها النخل غضبان يهدُرُ
ولما رأته اشتدّ واحتدّ غاضبا
بدا الغيظ في أنفاسها يَتَسعَّرُ
وهاجت وماجت فانثنى النخل وانحنى
وغشاه ثوب للهزيمة أصفر

❁❁❁

الا أيها الروح الذي حيّر الورى
بهزاته فالكون حيران أغبر
رويدا .. رويدا لا يَغرك ماترى
فلا بُدّ من يوم يجيء فتقْتَرُ

قلب الثاري

طال ليل الهول واشتدّ دجاه
وسحاب قاتِمٌ غشى سماه
ونجوم الليل غارت في حشاه
وسكون ساد في الافق الرهيب

❀ ❀ ❀

فكأن الكون مقدام غضوب
سامه الدّهر هوانا وخطوب
رام ثأراً فهو عن وشك الوثوب
أو ظلوم سخرت منه الحروب

❀ ❀ ❀

ليت شعري هل أرى بعد الظلام
جحفل النور وأطيار الصّباح ؟
وأرى الليل تولى بانهزام

❀ ❀ ❀

آه طال الليل وأشتدّ دجاه
واختفت فيه أناشيد الحياه

وطريق الليل لا أدري مداه
ربَّ سار تاه في أفق بعيد

❁ ❁ ❁

أيها القلب لتطو الفلوات
وانبذ الخوف وراء الكائنات
وتجلد لاجتياز العقبات
أنت كون غمرته الظلمات

❁ ❁ ❁

فتقوَ واطرح عنك الهيام
إن بعد الليل أنوار الصباح
وقريب يهزم النور الظلام

❁ ❁ ❁

عندما يبدو من الشرق سناه
وتزيح ظلمة الكون قواه
وطيور الروض تشدو في ضياه
يتلاشى مثل أحلام السجون

❁ ❁ ❁

هكذا ليل الاسى يتلوه نور
ويُوارى بين طيات الدهور

وليالي الهـول يتلوهـا الجبور
هكذا الدنيا بمن فيها تدور

❊ ❊ ❊

ها هو الافق نضى ثـوب الظلام
وغدا يـرفل في ثـوب الصّباح
ها هو الشرق نضى ثوب الظـلام

أمل

إن ضاقت الدنيا وحَفّت
يا فؤاد بك الهموم
ما في الحياة مسرّة
تبقى ولا حزن يدوم

❀❀❀

إن الحياة بدورها
يا قلب سرّ مبهم
حينا تقطب للوجو
د وتارة تتبسم

❀❀❀

والدّهر حينا مشرق
مثل الحياة الضاحكة
وتراه حينا داجيا
مثل الليالي الحالكه

❀❀❀

والعبد في الدنيا بأط

يافع الاماني يحلم
حينا تضاحكه الحياة
وتـــــارة يتـبرَّمُ

❁❁❁

يسعى بأقدام الرجا
ء مرتلا لحن الاملْ
بين الدّجنة والضيا
حتى يوافيه الاجلْ

❁❁❁

يا أيها القلب الذي
يشكو الكآبة والمحن
وغدا طريحاً للنوا
ئب تحت دمدمة الزّمن

❁❁❁

يشدو بألحان القدا
سة والطهارة للانام
لكنّ ليل البؤس وارى
لحنه خلف انظلامْ

❁❁❁

ستدور أيام الحيا

ة ويسفر الفجر القريب
ويغرد الامل الضحو
ك وينجلي ليل الخطوب

❁❁❁

ليل الاسى تتلوه أيا
م الحياة الزاهية
ولواعج الآمال تتلو
ها الاماني الذاوية

❁❁❁

سر يا فؤاد مرتلا
للناس ألحان النجاة
تفنى جميع الكائنا
ت وتبقى الحان الحياة



أي إثم جنيت في هذه الدنيا　　فأغدو رهن الشقا الموعود ؟
أي إثم جنيته فأجازى　　بعقاب من العذاب الشديد ؟
هكذا قلت في دجى الليل والاحـ　　ـزان تذكو بقلبي المكمود
وجحيم يشب في الجأش بالآ　　لام أودى بمهجتي وجهودي
وتمر الايام تسعر بالشكـ　　ـوى فأهتز هزة المنكود
تتراءى في ظلمة الليل أشبا　　ح أحاطت بمضجعي من بعيد
صور في الدجى تمرّ حواليّ　　ترني هول الزمان الكنود

❁❁❁

هكذا أصطلي الجحيم وأطوي　　حلك الليل تحت عبء مبيد
هكذا تجثم الشجون على صدري　　إذا جئت مضجعي للهجود

❁❁❁

ياصروف الزمان قد نفد الصبـ　　ـر فهلا لحرقتي من همود
يا صروف الزمان أزعجت أيا　　مي و كدرت عيشتي ورودي

❁❁❁

قدتألمت في الدجى وصروف الد　　هر صاحت بشقوتي ووعيدي
آه ما أثقل الحياة على البا　　ئس مثلي يشقى بهذا الوجود

نشيد الرحلة

سيري بنا واطوي الفلاة نحو الخمائل والحقـول
فالكون يبسم للحيـاة والجوّ معتـدل جميـل

❁❁❁

والزهر محتفـل بنـا .. يبدي مسرّتـه لنا ...
والطيـر ينشدنـا الهنـا فرحـا يحيي ركبنـا ...

❁❁❁

والروض أيقظـه النشيد وشدا النسيم به وطـاب
واستيقظ الافـق البعيـد ودوى به صوت الشبـاب

❁❁❁

فـاشدو بالحـان السرور واتلوا النشيد مع الطّيور
وتنسموا طيب الزهـور وارنوا الى الافـق المنير

❁❁❁

سيري بنـا نحـو الامل سيري الى البلـد الامين
واطوي السباسب والجبل انت الرجـا للسـائرين

التصويب

الصحيفة	السطر	خطأ	صواب
٧	٦	الرمان	الزمان
٩	١١	به أفق	به في أفق
٢٦	١١	حلو	حلم
٣٢	١٣	رقرقت	رقرقتا
٣٣	١١	ويبني	وتبني
٣٧	١٢	يبسم	تبسم
٣٩	١٠	غذلوني	عذلوني
٤١	١	أيها	أيتها
٤٦	١٣	حدث	جدث
٥٥	٤	الشيد	النشيد
٦٤	٧	فاشدو	فاشدوا

الفهرست

طبع وحفر
الشركة التونسية
لفنون الرسم
التنظيم والتصوير
برسمه الخطاط
محمود العبيدي